الاقصور نظر ومحض عناد ثم اخبر تعالى ان غيرهم قال هذه المقالة بقوله
سبحانه وكذلك اي ومثل هذه المقالة المتناهية في البشاعة
فعلت الامم الماضية مع اخوانك الانبيا عليهم السلام ثم فسر
ذلك بقوله تعالى ما ارسلنا اي مع ما لنا من العظمة من قبلك
اي في الازمنة السالفة في قرية واغرق في النفي بقوله تعالى
من نذير وبين به ان موضع الكراهة والخلاف الانذار على
مخالفة الاهواء الا قال مترفوها اي اهل الترفه بالضم وهي النعمة
والطعام الطيب والشي الطريف بكونه خاصا بالمترف وذلك
موجب لقلة الهم وللراحة والبطالة انا وجدنا اباءنا وهم اعرف
منا بالامور على امة اي امر جامع يستحق ان يقصد ويوم
ثم اكدوا كما اكدوا هولاء فقالوا وانا على اثارهم اي لا على
غيرها مقتدون اي راكبون سنن طريقهم لازمون لها ففي هذا
تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم قل اي يا افضل
الخلق لهولاء البعدا البغضا اولو اي اتبعون ذلك ولو جئتكم
باهدى اي امر اعظم في الهداية واوضح في الدلالة مما وجدتم
اي ايها المقتدون بالاباء عليه اباءكم كما تضمن قولكم انكم
تقتفون في اتباعهم بالاثار في اعظم الاشيا وهو الدين الذي
الخسارة فيه خسارة للنفس وانتم تخالفونهم في امر النفس
الدنيا اذا وجدتم طريقا اهدى في التصرف فيها من طريقهم
ولو اتى يسيرا ويفتخر احدكم بانه ادرك من ذلك ما لم يدركه
ابوه فحصل من المال اكثر مما حصل فيا له من نظر ما اقصره
ومتجر ما اخسره وقرا ابن عامر وحفص قال بصيغة الماضي
اي قال المنذر او الرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم
والباقون قل بصيغة الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوه
بان قالوا موكدين ردا مما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام
من انهم يبادرون النظر في الدليل والرجوع الى سوا السبيل
انا بما ارسلتم به اي انت ومن قبلك كافرون اي ساترون لما ظهر
من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعكم فيه مخلوق وان
كان اهدى مما كان عليه اباونا فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا
قال تعالى فانتقمنا اي بما لنا من العظمة التي استحقوا بها
منهم فاهلكناهم بعذاب الاستئصال ثم عظم امر النقمة
بالامر بالنظر فيها في قوله فانظر يا افضل الرسل كيف كان
عاقبة اي اخر امر المكذبين لرسلنا فانهم هلكوا اجمعون

ونجا المومنون اجمعون فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك وهذا تهديد
عظيم لكفار قريش ثم بين تعالى وجها اخر يدل على فساد التقليد بقوله
تعالى واذ اي واذكر يا افضل الخلق اذ قال ابراهيم اي الذي هو اعظم
ابائهم ومحط فخرهم والمجمع على محبته وحقية دينه منهم ومن اهل
الكتاب وغيرهم لابيه من غير ان يقلده كما قلدتم انتم اباءكم وقومه
الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الارض
انني براء اي بري مما تعبدون اي في الحال والاستقبال
الا الذي فطرني اي خلقني فانه سيهدين اي يرشدني
لدينه ويوفقني لطاعته تنبيه في هذا الاستثنا اوجه احدها
انه استثنا منقطع لانهم كانوا عبدة اصنام فقط ثانيها انه
متصل لانه روي انهم كانوا يشركون مع الباري غيره ثالثها ان تكون
الا صفة بمعنى غير على ان تكون ما نكرة موصوفة قاله الزمخشري
قال ابو حيان وانما اخرجها في هذا الوجه عن كونها موصولة لانه
يرى لان الا بمعنى غير لا يوصف بها الا النكرة وفيها خلاف وعلى
هذا يجوز ان تكون ما موصولة والا بمعنى غير صفة لها وجعلها اي
ابراهيم كلمة اي كلمة التوحيد المفهومة من قوله انني الى سيهدين
باقية في عقبه اي ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لانه
عليه السلام مجاب الدعوة وقال ومن ذريتنا ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
لعلهم اي اهل مكة يرجعون عما هم عليه الى دين ابيهم فانهم
اذا ذكروا ان اباهم الاعظم الذي بنا لهم البيت واورثهم الفخر قال
ذلك تابعوه قال الله تعالى بل متعت هولاء اي الذين يحضرونك
من المشركين واعدا الدين واباءهم اي مددت لهم في الاعمار
مع اسباغ النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم ولم اعاجلهم
بالعقوبة فابطرتهم نعمتي وتمادي بهم ركوب ذلك الباطل
حتى جاءهم الحق اي القران ورسول مبين اي مظهر لهم الاحكام
الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق اي الكامل
في حقيته بمطابقة الواقع اياه من غير لبس ولا اشتباه وهو
القران العظيم قالوا مكابرة وعنادا او حسدا من غير وقفة
ولا تامل هذا مشيرين الى الحق الذي يطابق الواقع فلا شي
اثبت منه وهو القران الكريم سحر اي خيال لا حقيقة له
وانا به كافرون اي عريقون في ستره بخصوصه حتى لا يعرفه
احد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعا اخر من كفرهم بقوله تعالى

Copyright © King Saud University